عين المدينة

نبنيـــها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...
- بانتظار السلاح ص2
- الحر يتقدم في دير الزور ص3
- خدعة زيادة الرواتب ص7
- زراعة دير الزور إلى الهاوية ص8
- شرطة البوكمال المحلية ص9
- كتابات جـدران حلـب ص10
- آثار سوريا في أيدي اللصوص ص16
- أردوغان... كش ملك ص18

عـين المدينـة | العـدد (7) | 2 تمـوز 2013

مجلـة نصـف شـهرية مسـتقلة

ملف خاص عن مجزرة سجن تدمر

للفنان جون | خاص عين المدينة

مجزرة تدمر

صبـاح يـوم الجمعـة 27 حزيـران 1980، حطّـت عـشر طائـرات مروحيّـة في مطـار تدمـر، تحمـل بضعـة ضبـاطٍ وأكـثر مـن مائتـين مـن العنـاصر، مجهّزيـن بأسـلحتهم الكاملـة. توجّهـت قافلـة المـوت بسرعـةٍ إلى سـجن المدينـة الشـهير. أدخلهـا مديـره وحرّاسـه الذيـن كانـوا قـد بلّغـوا بالأوامـر. فُتحـت أبـواب الزنازيـن، وجُمـع السـجناء العـزّل في الباحـات، وفتحـت عليهـم نـيران الرصـاص وألقيـت القنابـل. وفي أقـلّ مـن سـاعةٍ كان العنـاصر قـد عمّـدوا كمجرمـين، بدمـاء عـدة مئـاتٍ مـن الشـهداء الذيـن لم ينـجُ منهـم مـن ينقـل الحكايـة.

لا لنتذكّـر فقـط، عـلى أهميّـة الذكـرى التـي حاولـوا طمسـها، عندمـا كان الشـهود هـم الضحايـا والجلاديـن فقـط، وإنمـا اخترنـا هـذا الملـفّ لنقـول لمـن صنـع أولئـك القتلـة، ولمـن يحشـد أمثالهـم بغـزارةٍ خرقـاء الآن، إنـه لـن ينجـو. ولنتمنّـى أن يكـفّ عـن تفريـخ حقـده، وتوريـط آخريـن وآخريـن بانتهـاك دمـاءٍ وكرامـاتٍ وحقـوقٍ... لـن ننسـاها.

ربمـا سـيتحول سـجن تدمـر إلى متحـفٍ لأدوات التعذيـب المعـاصر، توضـع في ركـنٍ منـه سـجلات نزلائـه وكتبـاً حـوَت ذكريـات بعضهـم، وتُرفـع عـلى جدرانـه صـور الشـهداء الكـثر الذيـن قضـوا فيـه، وربمـا سـيُهمَل مبـدّداً ذكراهـم مـع الرمـال، وربمـا سـيقترح آخـرون هدمـه، تخلصـاً مـن أحمـالٍ وأدغـالٍ مـن الأوجـاع الكئيبـة تحـوّم وتصفـر في أروقتـه، ربمـا وربمـا... ولكـن الأكيـد هـو أن المسـؤولين عـن جرائـم الإبـادة والتعذيـب فيـه سـيتذكرون أن مـا كتـب فـوق بابـه كان الآيـة: {ولكـم في القصـاص حيـاةٌ يـا أولي الألبـاب}.

مشهدٌ جديدٌ يفتح الباب على صراعٍ عالمي حول تسليح المعارضة السورية

برودٌ دبلوماسي.. وأمريكا تبحث عن بدائل، وتواجه خلافاً داخلياً محوره سورية

عين المدينة ـ هيئة التحرير

تبدو تحركات وتصريحات الرئيس الأمريكي هي الأكثر حضوراً على ساحة الدبلوماسية العالمية فيما يخص تطورات الشأن السوري، إذ إن تقلبات الرأي حول الموقف الأمريكي، والصراعات الداخلية في الإدارة الأمريكية، تبدو الأكثر تأثيراً على قضية تسليح كتائب المعارضة السورية. وهو ما لا ينظر إليه باهتمامٍ كبيرٍ من قبل ثوار الداخل، على اعتبار أنه يخضع لمساومات كبيرة، بينما يعتبر القضية الأهم في مجال حسم الصراع، لأن مجمل العمليات العسكرية على الأرض يحقق فيها الثوار أو النظام تقدماً، إنما لا يحسمان وضع جبهة من الجبهات.

وفي آخر التسريبات الأمريكية يظهر توجه أمريكي جديد نحو الاعتماد على المعارضة العسكرية في التفاوض، وتحييد الائتلاف الوطني إلى حدٍ كبيرٍ، دون أن يتم الإعلان عن ذلك بشكل مباشر. إلا أن التسريبات تذهب أبعد من ذلك، إذ يبدو أن هناك بحث أمريكي جديد عن كيان معارض عسكري يتجاوز خلافات المعارضة السياسية وضعف تأييدها شعبياً. ولعل أهم الدلائل الجديدة على ذلك هو بروز نجم اللواء "سليم إدريس" ومجموعة من القيادات العسكرية الأخرى، ودخولهم في مجال قضية التسليح أكثر من المعارضة السياسية التي تتضارب الأنباء عندها وتعتمد على خارجيات دولٍ يبدو أنها لا تعطي للمعارضة من المعلومات ما يجيب على إشارات استفهامها أو استفهام الشارع السوري.

يصرّح أحد أعضاء الائتلاف أن الإدارة الأمريكية تفقد ثقتها بالائتلاف وتبحث عن بديل. بينما لم تظهر أي نتائج واضحة لاجتماع مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، جون برنان، مع عددٍ من القيادات الأمنية والعسكرية في الكونغرس الأمريكي، والذي تناول موقف أوباما من القضية السورية. مع العلم أن الاجتماع لم يكن مخصصاً لمناقشة هذا الجانب، وما تبين فيما بعد أن تقريراً تم وضعه يلخص الوضع في سورية وموقف الإدارة الأمريكية منه، لم يتم التصريح بمضمونه، وأشرف عليه نائب الرئيس جوزيف بايدن ونائب وزير الخارجية بيل بيرنز، إضافة إلى قادة استخباراتيين.

بينما كانت آخر تصريحات أوباما تراوح حول خلافه مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، حين أقرّ الرئيس الأمريكي بضرورة تسليح المعارضة، وأن بلده عازمٌ على تزويد الثوار بالسلاح. إلا أن ذلك لم يخلُ من ترددٍ أتبعه أوباما بالقول إن الأسلحة خفيفة، وستعطى لعناصر معينة من الثوار. وتقول التوقعات إن اللواء سليم إدريس هو من سوف يرشح الكتائب التي سيتم تسليحها، وسينظم قضية توزيع السلاح، الذي لم تحدد نوعيته حتى الآن.

عربياً

في الوقت الذي تبتعد فيه معظم خارجيات الدول العربية، ومنظمة الجامعة العربية، عن طرح الملف السوري في سياق اجتماعات أو مؤتمرات جديدة، وتترك للدول الكبرى مهمة وضع التصورات؛ تبدو المملكة العربية السعودية العنصر العربي الأقرب إلى التعاطي المباشر مع الوضع السوري. وهو ما تبدّى في مؤتمر صحافي مشترك بعد اجتماع عقد بين وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل ونظيره الأمريكي، عندما قال الفيصل إن: "أخطر المستجدات على الساحة السورية هي مشاركة قوات أجنبية ممثلة في ميليشيات "حزب الله" وغيرها مدعومة بقوات "الحرس الثوري" الإيراني في قتل السوريين، وبدعم غير محدودٍ بالسلاح الروسي".

وأوضح الفيصل ضرورة التدخل المباشر بالقول: إن المملكة لن تسكت حيال ما يجري في سورية، فالمملكة لا تتدخل في شؤون الآخرين، ولكن تريد مساعدة الشعب السوري بحسب قدراتها. داعياً إلى وحدة المقاومة.

وأمام مجمل التداولات السياسية في قضية التسليح ودعم الثورة السورية، ومجمل التراخي الأممي في رؤية المشهد الميداني على الأرض، يبدو عقد مؤتمر جينيف 2 أمراً بعيداً. بل ومن المتوقع أن تصاغ عملية التفاوض بشكلٍ جديدٍ، خاصة في ضوء تغيرات رؤية مراكز القرار الدولي، وبدء نشوب صراعات جديدة فيما يتعلق بسورية.

تراجعٌ في الجبهات الوسطى وتقدمٌ في دير الزور وحلب
حمص محور الرعب الجديد...
والبوابة التي تفتح معادلات جديدة

عين المدينة ـ هيئة التحرير

بعد القصير وتلكلخ كان لا بد أن تحتل معركة حمص الصدارة في مجمل المواجهات العسكرية بين جيش النظام السوري وكتائب الثوار، كنتيجةٍ لاحقةٍ لسيطرة النظام على ريف حمص الغربي، باعتبار هذا الريف البوابة الأهم للإمداد بالسلاح وعناصر حزب الله. وما يدور في حمص اليوم ليس مجرد معركة عادية، فهناك خفايا بدأت تظهر للعيان في هذه الجبهة الأساسية التي تتوسط الجغرافية السورية. فما الذي يجري؟ ولماذا يبدو اليأس سيد الموقف في أوساط الثوار ومؤيّديهم؟ وكأن الجميع ينتظر خبر سقوط حمص في يد النظام!

قبل أيام من اقتحام حمص شكا الكثير من ثوارها وقادة كتائبها من قلة الإمداد، الذي لا يعود فقط إلى شدة حصار النظام للمناطق الثورية الأساسية في المدينة (الخالدية، وادي السايح، القرابيص، جورة الشياح، باب هود) وإنما لإهمال تلك الجبهة من قبل قيادة أركان الجيش الحر، والشكوك بتواطؤ أو توقيع اتفاقيات من تحت الطاولات، ما يفتح الباب أمام النظام لبدء القصف والتحضير لاجتياح "عاصمة الثورة".

لم يكن سرياً ما تم توقيعه بين ثوار الوعر والنظام، إذ تقتضي الاتفاقية بين الطرفين تجنيب الوعر القصف والاجتياح مقابل تسليم سلاح الثوار فيها. بينما كان غير واضحٍ للعيان أسباب تلك الاتهامات المتبادلة بين مختلف القادة والكتائب، والتي برزت بقوة فيما أشيع عن إنذارٍ تم توجيهه من قبل العقيد خالد الحبوس إلى فاتح حسون قائد جبهة حمص ونائب رئيس الأركان وبشار سعد الدين قائد المجلس الثوري في حمص، متهماً إياهما بالتراخي والتحريض على الانسحاب، إلا أن الانسحاب الفعلي لم يسجّل من أية منطقة لا قبل بدء القصف ولا بعده.. الحبوس طالبهما بالإفصاح للعلن عما يجري وما هي الأوامر الجديدة التي تلقياها.

وتزداد الشائعات حدة بعد دخول النظام لتلكلخ ـ المدينة الاستراتيجية ـ بسهولة كبيرة، عندما لم تهب لنجدتها أي كتيبة، بل اقتصرت المقاومة على بعض شبان المدينة، ومن ثم سقوط القريتين بسهولة، ومن بعدها حصار قلعة الحصن.

أما في داخل المدينة فنجد الكتائب المرابطة توجه التهم لقيادة الأركان وتحمّلها مسؤولية ما سيجري، خاصة بعد الحصار الكامل المطبق على الأحياء الرئيسية وانعدام الإمداد عن كتائب الحر فيها.

واستراتيجياً تبدو حمص أكثر أهمية اليوم مع اشتداد معارك حلب، إذ تتوضّح أهداف النظام بمحاولة السيطرة على حمص لتكون قاعدة عسكرية في دعم وإمداد الجبهات الأخرى من جهة، وقاعدة لحماية كافة المناطق الغربية التي تمت السيطرة عليها مؤخراً من جهة أخرى. بل وحماية أتباع النظام في حمص وريفها وصولاً إلى الساحل، فيما أسماه محللون "النطاق الطائفي للنظام".

تقدمٌ للجيش الحر

أما تقدم الجيش السوري الحر فيتبدى واضحاً خلال الأيام الماضية في جبهات المنطقة الشرقية، وخاصة جبهة مطار دير الزور العسكري، حيث تمكن الثوار من السيطرة على الأبنية الرئيسية التي كانت تعتبر خط الدفاع الأول عن المطار بالنسبة للنظام، وأهمها بناء المسمكة والبناء الأبيض، وهو ما قد يفتح معركة جديدة للسيطرة على المطار الأبرز عسكرياً في المنطقة الشرقية، كونه نقطة انطلاق قذائف النظام على مختلف مناطق ريف دير الزور وسواها.

وفي حلب تهدأ الجبهات تارة وتتصاعد تارة أخرى، خاصة على جبهة الراشدين والبحوث العلمية، بينما يعتمد النظام خطةً جديدةً باستخدام صواريخ أرض أرض قصيرة المدى لاستهداف الأحياء المدنيّة في شرق حلب التابع للجيش الحر.

ويعتبر صمود ثوار الغوطة الشرقية، وخاصة بعد محاولات اجتياح القابون، هو الأهم في الجبهات الجنوبية، خاصة وأن هذه المنطقة تخضع لأكبر عملية عسكرية وأكثف قصف، دون نتائج واضحة لتقدم النظام على أي جبهات، بل وبنتائج إيجابية للثوار على جبهة قرى منطقة المرج وطريق مطار دمشق الدولي.

حزب الله ورسم الخريطة اللبنانية الجديدة

هاني شمعون | بيروت

يحاول حزب الله اللبناني الوقوف على هامش الحدث الأخير الذي شهدته مدينة صيدا، فهو "حزبٌ لا يتدخل في شأنٍ عسكريٍ أمنيٍ يقوم به الجيش اللبناني"، وفق رؤية منظري الحزب، بل يعبّر عن موقفه إعلامياً لا أكثر... بأنه يقف مع الجيش في مهماته الوطنية، تلك المهمات التي لا بد أن حزب الله من أكثر المستفيدين منها عملياً، بالتخلص من خصوم الداخل بذراع الجيش اللبناني، وإنهاك القوى العسكرية اللبنانية، ليبقى الحزب هو القوة المسيطرة الحاكمة للبنان.

وفي الوقت الذي ينفي فيه الحزب مشاركة عناصره في العملية العسكرية التي قام بها الجيش اللبناني في صيدا ضد أنصار الشيخ أحمد الأسير، تظهر بعض تسجيلات الفيديو لعناصر مسلحة بلباس مدني تقاتل مع الجيش. وقد لا يشكل هذا دليلاً واضحاً على مشاركة الحزب في القتال في صيدا، وليس موضوع مشاركته موضوعاً ذا أهمية أصلاً، بالنسبة إلى حزب يشارك جيشاً خارجياً في قمع الثورة في بلده! فوجود قوى نصر الله على الأراضي السورية إلى جانب جيش النظام قد يلغي أهمية مجمل تصرفات الحزب في الداخل اللبناني من جهة، ويضعه كمسببٍ رئيسيٍ لمجمل المشكلات الداخلية التي وقع فيها لبنان في الآونة الأخيرة، من جهة أخرى.

يرى محللون من تيار المستقبل ومن حزب القوات اللبنانية، أن لعبة صيدا بمجملها كانت بمخططٍ من حزب الله، بمعنى أن يتم استفزاز مسلحي "أحمد الأسير" وجرّهم إلى العمل المسلح من خلال مناوشات معهم، وبالتالي إدخال الجيش اللبناني كقوة وطنية تكافح تنظيماً مسلحاً على أرضها، وهذا التنظيم متهم بالتحالف مع الجيش السوري الحر، خاصة وأن الأسير من مناصري الثورة السورية. وبالفعل، وقع الأسير في شرك الحزب الذي يملك مئات الأضعاف من الأسلحة والقوى العسكرية المنظمة، وبالتالي يبدو انتصار الجيش اللبناني على قوى الأسير سهلاً وإنجازاً وطنياً، خاصة وأن مختلف القوى اللبنانية وقفت إلى جانب الجيش، حتى تلك المعارضة بقوة لحزب الله. ومن هنا يكسب الحزب تأييداً شعبياً لقمع قوى الأسير، ويقف متفرجاً على انقسامات جديدة في الخارطة السياسية اللبنانية، ليتزعم الساحة الحربية بسلاحه الأقوى، ويجعل مسألة تدخله في سورية هامشية أمام الأزمة اللبنانية الداخلية.

يبدو موقف القوى اللبنانية المعارضة لنظام الأسد منطقياً في دعمها لجيش لبنان، على اعتبار أنه القوة المسلحة التي لا تنتمي إلى حزب، على الرغم من أن إجراءاتها الحالية تصب في جهة أهداف حزب الله، إلا أن الجيش اللبناني ـ ومن وجهة نظر تلك القوى ـ لا بد من أن يبقى قوةً لبنانية يمكن أن يطلب منها التخلص من كافة أنواع الميليشيات المسلحة على الأرض اللبنانية إذا ما ضاقت الظروف بتلك الميليشيات. بمعنى أن حزب الله، الذي يقاتل في سورية حالياً، لا بدّ من زمنٍ يصبح فيه ضعيفاً إذا ما تعرضت قواته لدمارٍ في الأراضي السورية الواسعة، وهو المتوقع إذا ما اشتدت عزيمة الثورة السورية بسلاحٍ جديد، وبالتالي فإن انهيار قواته في سورية يستدعي ضعفه كميليشيا مسلحة في الداخل اللبناني، وعندها قد تكون للجيش اللبناني كلمة ثانية تجاهه، فيقف ضده كسلاح ميليشوي ترهيبي.

ومن المنطقي جداً ما يسوّق عن أن حزب الله يسعى لفرض سيطرته من جديد على مناطق لبنانية خارجة عن إدارته نسبياً. وبالتالي فإن افتعال المشاكل في صيدا وطرابلس وبعض قرى البقاع لا بد من أن يعطي نتائج مرحلية مفيدة للحزب، خاصة بالتخلص من القوى المناصرة للثورة السورية، والتي كان خطؤها أنها رفعت سلاحاً في جغرافية من الصعب الانتصار فيها حالياً (لبنان) وفوّتت على نفسها فرصة الاستمرار كتيار مدني ديني يؤيد الثورة السورية ويؤثر في الرأي العام اللبناني.

في حيِّ القصور بدير الزور...
كيف أمضت ثلاث عوائل يوماً مع حرس الأسـد الجمهوري

سمر شمس الدين

ديرالزور | عدسة كرم | خاص عين المدينة

أواخر الشهر التاسع من العام المنصرم، وخلال الهجوم الذي شنته قوات الحرس الجمهوري على حي القصور، كنا مجتمعين في بيتي، نحن سكان البيوت الثلاثة المتجاورة، ننصت لأصوات الاشتباكات والقصف والقذائف القريبة منا والبعيدة. ومع أخبار المجازر التي ارتكبتها قوات الأسد في كلٍ من حيي الجورة والقصور، كان الرعب هو الشعور الطاغي بيننا، نحن السيدات الثلاث اللاتي بقينَ دون رجالهنّ، مع أسرنا الصغيرة الخائفة. وفي ساعةٍ من الصباح دُفع باب المنزل بقوةٍ، ليقتحم ـ وخلال لحظاتٍ ـ عددٌ كبيرٌ من جنود الأسد منزلنا الصغير، وتوزعوا يفتشون في أنحائه.

كنا متجمّعين في الصالة نواجه البنادق المصوّبة نحونا بأعينٍ ترتجف خوفاً. سأل أكبر الضباط: مين صاحب البيت؟... أنا.... أجبت الضابط ذا الشعر الأشيب. نظر إلى صحن الزيت المشتعل بمنديلٍ، الذي كان يضيء الصالة المظلمة، وهذه طريقة أفرزها الغياب الطويل للكهرباء، ونفاد الشمع. وبشيءٍ من الارتياح، وبعد أن اطمأن أن لا خطر في بيتنا، سأل: من إيمتى الكهربا مقطوعة؟ أجبت: من أسبوعين.

من المطبخ حمل جنديٌ "الطنجرة" ومرّ بها من الصالة. ابتسم الضابط وعاد ليسألني: شو طابخين لنا اليوم؟.... أجبت: مقلوبة باذنجان.. صحة وهنا. أضفتُ بلطفٍ مصطنع. خرج معظم الجنود لمتابعة التفتيش في بقية الطوابق، وجلس الضابط الكبير مع ضابطين آخرين أقلّ رتبةً يحدقون بنا، نحن المتجمّعين في زاوية الصالة. قال الضابط: شو ما في قهوة؟ أجبت: أهلاً وسهلاً... دقيقة بس. وذهبت مع جارتيَّ وأطفالنا إلى المطبخ. كان منظرنا مضحكاً... ثلاثة عشر فرداً يتحركون ككتلةٍ واحدة... سمعت صوت الضابط: لك شو بكن خايفين... ما راح ناكلكن... بتخافوا منّا وما بتخافوا من كلاب إسرائيل؟! وخلال هذه اللحظات دوّى صوت انفجارٍ كبير، ثم رشقاتٌ كثيفة من الرصاص. سمعنا صوت الضابط يصرخ عبر جهاز اللاسلكي مستفسراً عما يجري. فجأةً صار خائفاً ومذعوراً مثلنا نحن النسوة والأطفال. وبعد أن خفّت وتيرة الاشتباكات عدتُ الى الصالة. لم يكن الضابط موجوداً، وكانت الصالة خالية إلا من مجندٍ صغيرٍ كان يقف عند الباب خائفاً. بادرني: خالة بدي مي... قدمت له الماء وأحسست بشيءٍ من الشجاعة لأسأل: أنت من وين؟ أجاب: من جبلة..... فسألته: ليش واقف هون؟... لم يجبني. كان ينظر إلى الدرج حيث كان الجنود يصعدون. وعلى ما يبدو لقد تمترس القناصة في الطوابق العليا.

سمعنا صوت الضابط أمام البيت يقول: الله يرحمهن الرحمن الرحيم... تساءل المجند: شو؟ طمنّا سيدي! أجاب الضابط: لك خمسطعش شهيد راحوا بعبوة..... استفسر المجند: منّا سيدي؟ أجاب الضابط بحدّة: لكان من مين؟!! عم قول الله يرحمهن، وعم قول شهيد يا حمار..... دمدم الجندي هو الآخر: الله يرحمهن الرحمن الرحيم. دخل الضابط إلى البيت. كان غاضباً جداً. يحمل بندقية ويرتدي الخوذة. أمرنا فوراً: معكن ساعة تفضّوا فيها البيت. سألته الجارة: لوين يا سيدي بدنا نروح.... وعلى الفور أطلق عليها الرصاص فأصابها في قدمها، وصاح بوحشيةٍ: كمان كلمة وتصير الرصاصة براسك.. نظر إليّ وأردف بحزم: راجع بعد ساعة... ما بدي شوف حدا.

كانت جارتي تنزف. وعلى عجلٍ ضمّدنا جرحها وأجبرناها على الخروج مع أطفالنا العشرة وبعض حقائب الألبسة...

استطعنا الوصول إلى حي الجورة. أسعفنا الجارة هناك، وذهبتُ بعد ذلك كل عائلة منّا في طريق. تنقلتُ بين بيوتٍ ومدارس نزوحٍ وقرى مختلفة. تركتُ بيتي منذ تسعة أشهر، ولا أعلم ما حلّ به ومتى أرجع إليه.

الحمّى التيفية (التيفوئيد) شبح يخيم فوق الفرات..

د . سامي حمد

كثيراً ما تخلّف المعارك والعمليات العسكرية بيئة مناسبة لعودة ظهور بعض الأمراض المنقرضة أو التي أوشكت على الاختفاء بشكل كلي، كنتيجة حتمية لتدهور الأوضاع الصحية في تلك البقعة. ويعد ريف دير الزور من المناطق التي يدق فيها ناقوس خطر عودة هذه الأمراض لما شهده من معارك وقصف متواصل بالطيران والصواريخ.

وهنا لا بد من الإشارة إلى ضرورة تزويد المشافي الميدانية باللقاحات والعلاجات اللازمة لما يُتوقع انتشاره من هذه الأمراض، بعد أن أضيفت المعالجات العامة إلى مهام هذه المشافي، فضلاً عن إسعاف ومداواة الجرحى. أما إذا كانت هذه المشافي تعاني من نقص في عددٍ من الاحتياجات الأساسية، فإن السؤال برسم المكاتب الصحية والطبية في تشكيلات المعارضة وفي المنظمات والهيئات العربية والإسلامية والدولية المعنية بهذا الشأن، كالصليب الأحمر الدولي ومنظمات الهلال الأحمر في دول الجوار وسواها. وهو أقل ما يمكن أن يقدمه داعمو الشعب السوري وأصدقاؤه.

الحمّى التيفية التي تعد من أقدم الأمراض عادت إلى الظهور في معظم أنحاء ريف دير الزور بأعداد مرعبة وفق إحصاءات بعض الأطباء وبعض المشافي الميدانية، كمشفى بقرص الميداني والنقاط الطبية التابعة له، إذ يستقبل من 7 إلى 10 حالات يومياً، وهو رقم كبير جداً مقارنة مع الحالات التي كانت قد سُجِّلت في السنوات العشر الأخيرة.

ويعد العامل الأساسي المسبب للحمى التيفية هو بكتيريا (عصية السالمونيلا التيفية Salmonellae Ty-phi bacteria)، وهي جراثيم سلبية الغرام، تنتقل مباشرة من شخص إلى آخر عن طريق المياه أو الأطعمة الملوثة ومنتجات الحليب والخضار والفواكه المروية بمياه ملوثة، خاصة بعد إثبات التحاليل ارتفاع نسبة تلوث مياه الفرات ببكتريا السالمونيلا، إضافة إلى الذباب كناقل أساسي لهذه البكتريا.

من الأرشيف البصري لمؤسسة بصمة

وتمتد فترة حضانة المرض من أسبوع إلى أسبوعين، تليها فترة الإصابة التي تستمر من 4 وحتى 6 أسابيع تظهر فيها أعراض المرض المتمثلة بارتفاع حروري وحمى يومية مع صداع وإرهاق وآلام عامة في كل الجسد وسعال جاف. وفي بعض الحالات قد يعاني المريض من ضيق أو صعوبة في التنفس وجفاف الفم والشفتين مع فقدانٍ للشهية وفقدانٍ للوزن، إضافة إلى أعراض اخرى تتمثل بالشعور بآلام شديدة في البطن قد يصاحبها إسهال يصاب به الأطفال أو إمساك غالباً ما يكون عند البالغين.

ويتوجب عند ظهور تلك الأعراض عزل المريض وتعقيم الأغطية والملابس التي يستعملها، مع راحة تامة، وتغذيته بوجبات غنية بالسعرات الحرارية والإكثار من السوائل المختلفة والأطعمة المسلوقة والمطحونة الحاوية على الفيتامين والسكريات اللازمة والأطعمة المطبوخة جيداً.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن سبل الوقاية ضرورية جداً لمواجهة هذه الحمى. وهي تتلخص بالتقيد بقواعد النظافة العامة، وخاصة فيما يتعلق بالطعام وبعد الخروج من الحمام، والانتباه الجيد لتعقيم الحليب ومشتقات الألبان وتغطية الصرف الصحي وتحويله عن مجرى النهر ما أمكن، وعزل المرضى المصابين لمنع اختلاطهم بالآخرين ونقل العدوى إليهم، وأخذ اللقاحات المناسبة من النقاط الطبية والمشافي الميدانية..

ومن المؤلم أنه قد صار ضرورياً أن تقدم وسائل إعلام الثورة بعض المعلومات الطبية المتخصصة لتكون في متناول من قد يحتاج إليها ولا يستطيع الوصول إلى المشفى لأسباب مختلفة، أو يوجد في مكان يعاني من نقص في الطواقم الطبية، كما هو حال العديد من البلدات والقرى السورية حالياً.

خطوة جديدة للنظام في استعادة ثقته بنفسه

زيادة رواتب الموظفين.. التصرف الأكثر فشلاً في التصدي لزيادة الأسعار

هدى محمود

بعد تجاوز الدولار لسعر 200 ليرة سورية، أي حوالي أربعة أضعاف سعره قبل الثورة؛ حاول النظام السوري استعادة ثقته بنفسه اقتصادياً، وإرسال رسالة مبطّنة إلى جمهوره: "ما زال بالإمكان المواجهة"، وهو ما لم يقع في نفوس السوريين موقعاً حسناً، حتى من قبل مؤيّدي النظام. فالزيادة، التي تراوحت بين 20 إلى 40 بالمئة على الرواتب المقطوعة للمدنيين والعسكريين، سُبقت برفع سعر المازوت إلى 60 ليرة لليتر (بمقدار ضعف سعره السابق)، وهو ما ظهرت نتائجه بسرعة على السوق من خلال زيادة أسعار ما يزيد عن 300 مادة استهلاكية بنسبٍ تتراوح بين 40 إلى 60 بالمئة. بمعنى أن الزيادة في الرواتب لا تغطّي زيادة الأسعار المرافقة، بالرغم من وجود مواد ما زالت مدعّمة في السوق السورية، خاصة في المناطق الهادئة.

يحاول النظام، من خلال خطوة زيادة الرواتب، الحفاظ على استقرار المناطق المؤيدة أو الصامتة بالدرجة الأولى، وهي المناطق التي غالبيتها من الموظفين، بينما يسحب ـ بشكلٍ كاملٍ ـ يده من المناطق الثورية التي تضمّ من يعانون البطالة أو يعملون خارج إطار الوظيفة الرسمية، أو حتى الذين حرموا من وظائفهم ورواتبهم في ظل العمليات العسكرية. بينما يبث إعلام النظام رسائله نحو مؤيديه داعياً إياهم إلى عدم تصديق الشائعات وعدم تحويل ما يملكونه من مدّخرات بالعملة المحلية إلى الدولار أو الذهب، وهو ما لم يجدِ نفعاً من الجانب العملي، على اعتبار أن أنشط الأعمال التجارية الجارية في المناطق الهادئة حالياً هي تجارة العملة، وخاصة في مدن دمشق وحماة واللاذقية وطرطوس. بمعنى أن الانهيار الاقتصادي حدث متوقع من قِبَل المؤيّدين قبل المعارضين، وأن الزيادة في أجور الموظفين ليست سوى لعبة إعلامية قد تخرج الحكومة منها بأرباحٍ بفضل رفع أسعار المواد الغذائية والمستوردة بشكل خاص، وأسعار الوقود الذي تدّعي السلطة حتى الآن أنه مدعّم.

أرقام فلكية وفق المعيار السوري

بجولة بسيطة على أسعار السوق السورية تمكن ملاحظة ارتفاع أسعار مجموعة من المواد الأساسية بشكل فاقع، فقد تجاوز سعر كيلو السكر 100 ليرة، والرز 200، والسمنة والزيت 300، وصحن البيض 450، والمحارم 200، مقابل زيادة أكثر وضوحاً في الخضروات والفواكه، فالبندورة وصلت إلى 150 ليرة، والخيار فاق 100، والبطاطا 70. بينما ازدادت، من جهة أخرى، أسعار الشتل والبذار، لأن الكثير من الأسر لجأت إلى زراعة الخضروات في شرفات وأسطح وأفنية المنازل، وهو ما لوحظ جلياً في ريف دمشق.

ومن جهة أخرى، ازدادت تعرفات النقل الداخلي بنسبة 50 بالمئة، وبشكل عشوائي غير منظم بلائحة أسعار حتى الآن، مع ازدياد أسعار الوقود الذي سيتضح أثره الكارثي في الشتاء، فمعدل استهلاك الأسرة المتوسطة للمازوت في ذلك الفصل قد يصل إلى 1500 ليتر في المناطق الباردة. بمعنى أن تكلفة التدفئة ستصل إلى 90 ألف ليرة ـ إذا توفرت المادة بدون الحاجة إلى السوق السوداء ـ وهو ما لا تحقق زيادة رواتب الموظفين نسبة ضئيلة منه.

فوضى اقتصادية

وبدأ التخبط يظهر جلياً بعد رفع سعر المازوت، ثم إتباعه بزيادة رواتب، ضمن أطراف النظام ذاته، فرئيس غرفة تجارة دمشق، غسان القلاع، وجد أن زيادة الأجور لن تعوّض باقي المواطنين الذين لا يتقاضون راتباً من الخزينة، وأن أغلبية السكان لن يكونوا قادرين على مواجهة ارتفاع أسعار المحروقات، خاصة وأن معظم الصناعات المحلية، على اختلاف أشكالها وأنواعها، تحتاج إلى المحروقات.

بينما رأى نقيب عمال النفط بدمشق، علي مرعي، أن قرار رفع سعر المازوت إلى 60 ليرة لليتر سيرخي بثقله على مستوى المعيشة المتدهور أصلاً للمواطنين.

زراعة دير الزور.... إلى الهاوية

كمال المناور

عدسة كمال | العشارة | خاص عين المدينة

ليست نيران الأسد وحدها من أحرق المحاصيل الزراعية في ريف دير الزور، فندرة المياه ـ نتيجة توقف معظم الأعمال في مشاريع الري ـ وارتفاع أسعار السماد والبذار والمحروقات إلى مستويات غير محتملة؛ كل ذلك سبّب مجتمعاً ما يشبه الدمار الكامل للمحاصيل الصيفية والشتوية.

ولا يكفّ فلاحو دير الزور عن الشكوى، ولا يعلمون على وجه التحديد جهةً أو هيئةً يلجأون إليها للتخفيف من الخسائر الفادحة التي لحقت بزراعتهم حتى الآن، ووقف تدهورها إلى مستويات خطيرة.

يقول أبو إبراهيم، وهو فلاح من أهالي العشارة:

إلى أين أذهب؟ ليس لي إلا الله... مللت من الشكوى... أملك 15 دونماً... كنت أزرع القمح والخضروات والقطن... وبالكاد كانت هذه الأرض الصغيرة تؤمن دخلاً صغيراً يكفي لإعالة أسرتي. ومنذ سنة تقريباً تفاقمت المشاكل، فقد ارتفعت أسعار البذار والأدوية الزراعية، وشحّت المياه في قنوات الري، مما أضرّ بزراعتي لهذا الموسم بشكل كبير. ويضيف أبو إبراهيم: كنت أنتج 500 كغ قمح للدونم الواحد، وتراجع الإنتاج في هذا الموسم الى أقل من 100 كغ! إن أجرة عمل ساعة واحدة لمحرك ضخ المياه هي 500 ليرة حالياً، وفوق ذلك هي مياه بئر غير مناسبة لري المحاصيل الزراعية، فهي أقرب إلى الملوحة، مما تسبب بمشكلة أخرى، إذ تملّحت أجزاء كبيرة من أرضي.

يقول المهندس الزراعي عبد الصمد شهاب، وهو صاحب صيدلية زراعية، يقوم بدراسات ميدانية وجولات اطلاعية في منطقة العشارة وجوارها:

نتيجة احتكاكي المباشر بالإخوة الفلاحين، واطّلاعي على تفاصيل العمل الزراعي ويومياته، وقيامي بأبحاث ميدانية إحصائية؛ أرى في الفلاح مجرد ضحية في دورة العمل واقتصاد سوق المنتجات الزراعية. إذ تندر المياه المناسبة والصالحة لسقاية المحاصيل، فقد توقف العمل في مشروع الري الخامس الذي يروي الأراضي في كل من القورية والعشارة ومحكان وغيرها ـ وهي مساحات شاسعة تتجاوز آلاف الهكتارات ـ مما أدى إلى امتناع كثير من الفلاحين عن زراعة أراضيهم. فعلى سبيل المثال لم يزرع من قطعة أرض بمساحة 350 دونماً إلا 50 دونماً، وهذه الحالات متكررة بشكل كبير. واضطر بعض الفلاحين الى استخدام الآبار لأعمال السقاية، مما أضاف مشاكل وأعباءً أخرى إلى كاهل الفلاح المثقل أصلاً.

ويضيف شهاب: في موسم القطن المبكر، الذي بدأ في مطلع الشهر الرابع المنصرم، لم يسق الفلاحون إلا سقاية واحدة، علماً أن القطن يحتاج إلى أربع سقايات منذ ذلك الوقت إلى الآن، ولم يتمكن الفلاحون من سقايات أراضيهم أبداً في الزراعات الحالية. وهذا يعني باختصار خسائر فادحة لموسم القطن لهذا العام.

أما بالنسبة لأنواع الأسمدة اللازمة فقد ارتفع سعر كيس سماد اليوريا من ألف ليرة في العام الماضي إلى خمسة آلاف، والرقم قابل للزيادة وبشكل يومي مع انهيار العملة السورية وصعوبات أخرى في تأمين المادة ونقلها، مما دفع الفلاحين إلى شراء الأسمدة المركبة الذوابة، التي تستخدم عادة للمحاصيل الخضرية. وهذه الأسمدة ذات أسعار متزايدة وبشكل يومي كذلك، مما انعكس بشكل سلبي على أسواق الخضار ومنتجيها أيضاً.

يتناول شهاب علبة للمبيدات الزراعية من رف صيدليته ويقول: هذه مادة (تريفلان)، التي تستخدم بشكل رئيسي في محصول القطن، لمكافحة الأعشاب الضارة التي قد تصيب هذه الزراعة. كنا نشتريها من تجار الجملة بـ (400) ليرة، واليوم يتجاوز سعرها (1500) ليرة، مما جعل الغالبية تعرض عن شرائها. وفوق كل ذلك يشعر معظم مزارعي القطن بالقلق لعدم وجود أسواق مستقرة وواضحة تستوعب إنتاجهم وبأسعار عادلة.

ويصرّ شهاب أن يوجه رسالة حادّة إلى هيئات المعارضة في الخارج، التي فشلت حتى الآن في إقامة هياكل تنفيذية تعتني بشؤون الزراعة والاقتصاد للسوريين الذين يعانون بشدّة في الداخل بمختلف مناطقه. ويتهم الجميع بالتقصير وإهمال شؤون الفلاحين. فهل من مجيب؟

شرطة البوكمال المحلية

عبد الخالق علواني

قبل سبعة أشهر، أسَّسَ المجلس المحلي لمدينة البوكمال قوةً للشرطة المحلية تختصّ بحفظ الأمن داخل هذه المدينة التي تجاوز عدد سكانها مئة ألف نسمة، أضيف إليهم أكثر من عشرة آلاف نازح.

تألفت الكتيبة الأمنية، كما يسميها أهالي البوكمال، من منشقين من سلك الشرطة الأسدية، ومن بعض عناصر الجيش الحر، إضافة إلى غيرهم من المتطوعين.

ويسعى المجلس المحلي للمدينة لتأمين احتياجات الكتيبة، رغم العوائق الكثيرة التي تعترض ذلك، والتي تتركز بشكل رئيسي حول الضعف المالي. فخلال سبعة أشهر من عمر الكتيبة تمكّن المجلس المحلي من دفع مكافآت مالية لأفرادها ثلاث مرات فقط، وبمبلغ عشرة آلاف ليرة كلّ مرة.

ويبدو أبو أحمد (50 عاماً)، وهو قائد هذه الكتيبة، مهموماً ومنشغلاً بتلبية احتياجات رفاقه، فكثيرٌ منهم يعيلون أسراً كبيرة وليس لهم أي مورد مادي. والحد الأدنى الذي يجب تأمينه كمكافآت أو مرتبات شهرية هو عشرة آلاف ليرة لكل عنصر، مما يعني مليون ليرة شهرياً توزع على مئة شخص هم عناصر هذه الكتيبة. وهذا رقم كبير يفوق إمكانات المجلس المحلي الذي تتبع له قوة الشرطة المحلية هذه.

ومن مقرٍ ضربته طائرات الأسد ثلاث مرات وأحالته إلى شبه ركام، يسرد أبو أحمد قائمة احتياجات تبدأ بإصلاح المقرّ وإعادة تأهيله، ولا تنتهي عند اللباس الموحد وأجهزة الاتصال وغيرها من المستلزمات اللوجستية الأخرى.

نموذج جديد لرجل الشرطة

يقول أبو أحمد: تتصدى الكتيبة لمهامٍ عدة، إذ يقوم عناصرها بتسيير دوريات على مدار (24) ساعة، وملاحقة الحالات والمخالفات الجنائية، إضافة إلى تنظيم المرور وضبط حركة السيارات في الأسواق وشوارع المدينة الرئيسية.

قائد الشرطة المحلية بالبوكمال وعناصره | عدسة نوار | خاص عين المدينة

ويقدّر قائد الشرطة الثوري معدّل المشاكل اليومية التي تتصدى لحلها كتيبة الأمن بـ (15)، تأتي مشاكل السلاح في مقدمتها، إذ يمنع حمل السلاح داخل المدينة وسط ترحيب كبير من الأهالي بهذا الإجراء. ومن خلال الإقناع والنصح تمكن عناصر الشرطة المحلية من تخفيف هذه الظاهرة إلى حدٍ كبير. ويمنع على زوار البوكمال، وخاصة من الأرياف، حمل السلاح أيضاً، خوفاً من عمليات الانتقام التي قد تحدث عندما يتلاقى شخصان بينهما ثأر أو خصومة.

وتلاحق الكتيبة الأمنية مروّجي المخدرات، وتلقي القبض عليهم ثم تحيلهم إلى هيئة شرعية قضائية تتولى شأنهم. وتهتم الكتيبة أيضاً بجرائم التزوير، فقد أحيل عدد من مزوّري العملة إلى المحاكمة وتمت مصادرة أموالهم المزيّفة.

وفي الشارع يفخر البوكماليون أنهم استطاعوا تأسيس جهاز شرطة محلية مختصة وفعالة، نجحت في ضبط أمن المدينة بطريقة حضارية ولائقة. ويحرص عناصر الكتيبة على التعامل مع المواطنين بتهذيب واحترام. فهم، وكما يقول أبو أحمد، في خدمة الناس وليس العكس، وهم أبناء الثورة، وسلوكهم يعبر عن نتائجها ونجاحاتها. والحمد لله، يضيف أبو أحمد: نجحنا في تقديم صورةٍ جديدة أو نموذجٍ جديد لرجل الشرطة، يغاير نموذج وصورة رجل الأمن الأسدي الظالم والمرتشي والمتغطرس. نحن في الحقيقة خدمٌ للناس والمدينة والمجتمع.

من التجارة إلى الثورة

قبل الثورة، كان أبو أحمد يملك متجراً لأجهزة الاتصال. ومع التحاق مدينة البوكمال المبكر في مجريات الثورة، كان من أوائل المتظاهرين السلميين، واعتقل لمرتين في السنة الأولى للثورة. ففي الاعتقال الأول، أوقف أبو أحمد لمدة 45 يوماً في سجون المخابرات، ثم أطلق سراحه. وبعد فترة وجيزة اعتقل مرة ثانية لمدة ثلاثة أشهر، تعرّض خلالها لمختلف أشكال التعذيب الوحشي. وفور خروجه من السجن حمل أبو أحمد السلاح لأنه، وكما يقول: أدرك أن هذا النظام المجرم لن يزول إلا بالقوة. قاتل أبو أحمد مع فصائل الجيش الحر حتى تحرير البوكمال، ليقود بعد ذلك كتيبة الشرطة المحلية فور تأسيسها.

يبدي القائد اللطيف ثقته بمستقبل الثورة ونجاحها، ويرى في سكان مدينته القدرة على إعادة بنائها بأفضل مما كانت عليه قبلاً.

آياتٌ.. أشعارٌ.. شتائم.. وكل ما يجول في خاطر المواطن
جدران حلب.. لوحاتٌ فنية وقيمٌ إنسانية ومرآةٌ لتنوّع المجتمع

عبد الرحمن شرم

جانب من الكتابات على جدران حلب | عدسة عبدالرحمن | خاص عين المدينة

هكذا، وبقدرة ثورة، تحولت الجدران من دفاتر المجانين (وفق مثلٍ سوريٍ شهير) إلى دفاتر المبدعين، فالمدن السورية باتت معرضاً للرسوم والكتابات والقيم، ولوحاتٍ للتعبير عن الرأي... على جدران المباني العامة والمعامل والأبنية السكنية، وحتى السيارات.

كانت كتابات أطفال درعا على الجدران هي الفتيل الذي أشعل الثورة ومن حلب كانت الكلماتُ بسيطةٌ على الجدران. وكان أبرزها، (ارحل، وساقط، و..... إلخ)، والتي من النادر أن تجد واجهة دكانٍ أو حائطاً لم تكتب عليه. وكانت الكتابة سرية جداً بسبب التضييق الأمني. وشوارع حلب تشهد على ذلك، إذ كانت الكتابات تكتب ببخاخات وبطريقة سريعة.

واختلفت العبارات بعد تحرير بعض المناطق في حلب، وبعد أن شهدت هذه الأحياء تنوعاً كبيراً، وكان من ضمن هذا التنوع الكتابات، فأخذت مختلف التيارات تعنى بالكتابة على الجدران. وقد تنوعت الكتابات بين (إسلامية، وعلمانية، وإصلاحية، وتثقيفية)، الأمر الذي نال إعجاب كثيرٍ من السكان.

ولدوّار جسر الحج وضعٌ خاص. فهو، كما يقول ناشطون، بابٌ للتعرف على كتائب الجيش الحر، فلا تُشكَّل كتيبة جديدة إلا وتضع اسمها على جدران هذا الجسر، حتى بات من غير الممكن رؤية جدرانه من كثرة الكتابات عليها.

وما أكثر المنظمات التي تتبنى الكتابات على الجدران، ومن هذه المنظمات (الريشة الحرة) التي تتألف من مجموعة من الشباب يقومون برسومٍ كاريكاتيرية أو برسومٍ ذات معانٍ رمزية. وهدف هؤلاء الشباب الرئيسي هو تزيين شوارع الشهباء بقدر ما يستطيعون... وهو مشروع للمكتب الإعلامي في حلب، وفق قول الإعلامي حسين، أحد الناشطين في المجموعة.

تنوّع

وتكثر الكتابات الإسلامية على الجدران، بين آياتٍ وأحاديث في موضوع مكارم الأخلاق والقيم الإنسانية السمحة، وفي موضوع الثورة. وهو ما يجده البعض مناسباً للجيل الناشئ، فيقول أبو محمود (مواطن حلبي): "من الجميل رؤية الجدران بهذه العبارات الإسلامية. وهي تعليمية أكثر من كونها زينة. فابني، الذي هو في التاسعة من عمره، حفظ أكثر من عشرة أحاديث من الأحاديث المكتوبة على الجدران. إنه أمرٌ مهم، وأرجو لهم التوفيق".

بينما يقول مواطن آخر، رفض الإفصاح عن اسمه: "إن كل هذه الأشياء لا قيمة لها إلا إن كانت تخرج من القلب (لأن ما يخرج من القلب يدخل إلى القلب). وهذه الكتابات كلها مسيّسة لصالح جهات معينة".

من الجيد أن جدران حلب، وربما غالبية جدران المدن السورية الأخرى، باتت تعبر عن تنوّع المجتمع، فيظهر التوجه الإسلامي على هذا الجدار بينما يظهر توجهٌ مناقضٌ أحياناً على جدارٍ آخر، وبكلمات بسيطة تعبر عن مراحل أولية لبناء الفكر المتنوع. وما الخلاف الذي تعكسه تلك الجدران إلا ظاهرة تلوح بزوال زمن الشمولية والفكر الواحد، والانطلاق نحو حرية طرح الرأي والاختلاف.

في حلب، قد تجد اللوحات المرورية باتت صحفاً يكتب عليها مواطنٌ ثم يمر غيره فيشطب ويكتب مرة أخرى، وتتراكم الكتابات فوق بعضها. وقد تصبح اللوحات الإعلانية أيضاً ألواحاً للمارّة، بأقلام التخطيط وبالبخاخات.. وبالألوان المتعددة أحياناً. فسيفساء المدينة تظهر هنا. وهذه الألوان التي تملأ الجدران لا يمكن تنظيفها بالأدوات المعتادة.. هي بحق بحاجةٍ لخلق بدائل للتعبير حتى يتخلى المواطن عن الجدار وينتقل إلى الكتابة على مساحات أخرى، ولو كانت مجرد ورقة اقتراع في صندوق ديموقراطي.

هبوط الليرة وحواجز النظام واللصوص مشاكل مستمرة باستمرار النظام

سوق البوكمال... حياة جديدة رغم معوقات العمل وضعف القدرة الشرائية

عمر ظافر

التحرير أعاد الحياة

بعد أن شنّ النظام حملته الهمجيّة على محافظة دير الزور العام الماضي، بدأت الحركة الاقتصادية بالتوقف تدريجياً في مدينة البوكمال. وقد كانت هذه الحركة تعاني جموداً قبل مدّة بسبب حالات العصيان المدني، التي كانت تلقى ترحيباً من السكان.

وفي شهر تشرين الثاني من العام المنصرم، انعدمت هذه الحركة بشكل كامل، بعد أن غادر المدينة ٨٥٪ من سكانها، هاربين من رحى الحرب التي جعلت العيش فيها يكاد يكون مستحيلاً، ودمّرت الكثير من البنى التحتية، وتسببت بأضرارٍ كبيرةٍ للمحلات والأسواق.

إلا أن تحرير المدينة شكّل نقلة نوعية، إذ ساعدها على استعادة نبضها الاقتصادي. ومع بدء عودة الأهالي كانت الحياة ترجع تدريجياً إلى أسواق البوكمال، واضعةً لبنة جديدة لحياة مدنيّة خالية من فساد مؤسسات النظام، الذي كان يشكل عائقاً كبيراً أمام الانتعاش الاقتصادي في المدينة.

بنية اقتصادية جديدة

خلق تحرير المدينة بنية اقتصادية جديدة في البوكمال، فسابقاً كان أبناء المدينة يعيشون على نقل البضائع من وإلى العراق، وعلى تهريب بعض هذه البضائع، وعلى تجارة المحاصيل الزراعية. أما اليوم فقد تغيّر الحال، فالسلطات العراقية شدّدت من إجراءاتها لمراقبة الحدود منعاً لدخول الأسلحة، كما أدّى استهداف النظام للأراضي الزراعية إلى تراجع إنتاجها من المحاصيل.

فأصبح اقتصاد البوكمال اليوم يعتمد على حركة البيع والشراء فقط. ولكن ازدياد تدفق النازحين إلى المدينة أسهم في تحسين الحركة الاقتصادية، وإقبال التجار على إعادة فتح محلاتهم وإصلاحها. كما أن ازدياد التحويلات المالية إلى الأهالي، من ذويهم في الخارج، ساعد على تدوير

البوكمال | عدسة عمر | خاص عين المدينة

رأس مال جيد داخل أسواق المدينة، وأسهم في استمرار حركتها، رغم ارتفاع الأسعار وعدم تناسبها مع رواتب الموظفين، الذين يشكلون نسبة كبيرة من أهل البوكمال والوافدين إليها.

وعود الاستثمار

لعل أكثر ما يعرقل انتعاش اقتصاد البوكمال الجديد هو توقف الاستثمارات، بسبب استمرار قصف طيران النظام للمدينة بين الحين والآخر، واستهدافه لمراكز تجمع المدنيين والأسواق التجارية، بعد أن كانت هناك وعود بالاستثمار في المدينة إثر التحرير، من قبل الائتلاف الوطني ومنظمات اقتصادية دولية وبعض المستثمرين العرب والسوريين. كما أن الاتحاد الأوروبي وعد بإدخال مصافي نفط مصغرة إلى المناطق المحرّرة في دير الزور، لاستثمار النفط الذي أصبح مشاعاً للجميع، مما قد يخفف من الاستثمار غير الشرعي ويوفر موارد الطاقة.

هذه الوعود، في حال الوفاء بها، ستكون كفيلة بإنعاش الاقتصاد في المدينة وتحسين معيشة أهلها والوافدين إليها، بسبب فرص العمل التي ستوجدها، وكونها ستساعد على إنشاء مشاريع صغيرة ومتوسطة تطوّر اقتصاد المدينة المتجمّد منذ ما قبل التحرير. ولكن هذه الوعود ما زالت حبراً على ورق.

هموم الناس

وعلى الرغم من عودة الحركة إلى أسواق مدينة البوكمال، فإن من يتجول فيها سيشاهد، دون أي شكٍ، هموماً في وجه المشتري وهموماً أخرى في وجه البائع، تتقاطع دائماً في سببها، ألا وهو الحرب المستمرة.

جابت "عين المدينة" في أسواق البوكمال والتقت بعض الزبائن، فأبو أحمد يشكو لنا همومه قائلاً: "أنا أعيش على مرتبي، والأسعار في ارتفاع، ولا نستطيع التأقلم مع هذا الارتفاع، كون الدخل على ما هو عليه".

وأمام أبو أحمد كان يقف ياسر، البائع، الذي يعقب: "انهيار الليرة هو السبب الرئيسي في الأزمة. إضافة إلى صعوبة وصول البضائع إلى المدينة بسبب بعدها عن المراكز التجارية الكبرى وانتشار حواجز الجيش النظامي واللصوص على الطريق، مما يجعل تكلفة وصولها إلينا باهظة. كما أن البضائع التركية المستوردة بالدولار أغرقت الأسواق".

ومع كل هذه المشاكل، فإن الأسواق مكتظة بالمشترين وبسيارات نقل البضائع، والحركة الاقتصادية في أوج نشاطها، والأسواق فتحت أبوابها أمام واقعٍ مؤقتٍ قد يطول أو قد يسرع في الزوال في حال انتصار الثورة.

تدمر... السجن والمجزرة

معاوية حمّاد

تقع مدينة تدمر على بعد 160 كم شرقي مدينة حمص، في بادية الشام. أما سجنها العسكري الرهيب فيقع في أقصى الناحية الشمالية منها. وهو في الأصل جزء من ثكنة تعود إلى زمن الاحتلال الفرنسي.

وكان هذا السجن الصحراوي مخصصاً لتأديب العسكريين الفارّين أو المجرمين. ولعل أول مرة تفتح أبوابه فيها لاعتقال سياسيين كانت حين نُقلت إليه مجموعة من متّهمي الإخوان المسلمين في أواخر حزيران 1966، منهم المشايخ عبد الفتاح أبو غدة، وجودت سعيد، ومروان حديد، وغيرهم. ليتحول هذا السجن بالتدريج إلى واحدٍ من أسوأ السجون في العصر الحديث. وقد تعاقب عليه، منذ ثمانينيات القرن العشرين وحتى نهايته، عشرات ألوف المعتقلين من إسلاميين وسواهم، قضى بعضهم فيها مدةً تصل إلى العشرين عاماً. ولم يخرج كثيرون منه أبداً.

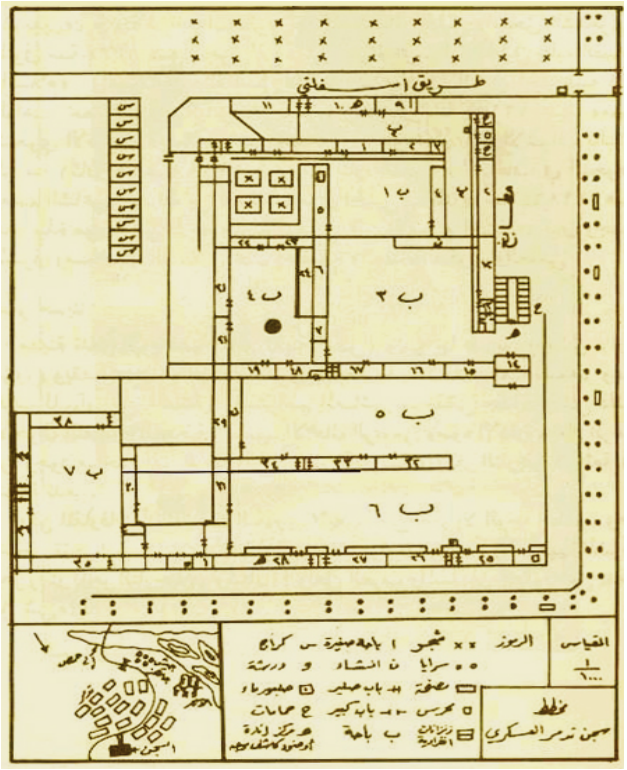

وفي 26 حزيران 1980، وإبّان صراع الأسد الأب مع خصومه الإسلاميين، حاولت مجموعةٌ منهم اغتياله بينما كان في استقبال مسؤول أفريقي، على بوابة قصر الضيافة بدمشق. فشلت المحاولة ولكن الغضب الهائج اعترى بعضاً من صقور النظام، الذين كان رفعت الأسد، قائد سرايا الدفاع، على رأسهم.

وفي الثالثة والنصف من فجر اليوم التالي دُعيت مجموعتان من سرايا الدفاع للاجتماع بلباس الميدان الكامل؛ الأولى من اللواء (40)، الذي كان يقوده الرائد معين ناصيف (نائب رفعت وزوج ابنته)، والثانية من اللواء (138)، الذي كان يقوده المقدم علي ديب (أحد مجرمي حماة عام 1982، وأحد قادة قوات الأسد في لبنان). ويزيد تعداد كلٍ من المجموعتين على مائة عنصر. وكانت العملية بقيادة المقدم سليمان مصطفى، قائد أركان اللواء (138).

أقلعت عشر طائرات هليكوبتر بالمنفذين من مطار المزة، ووصلت في السادسة صباحاً إلى تدمر، حيث عقد ضباط العملية اجتماعاً تمّ فيه تحديد المجموعة التي كلّفت بدخول السجن، وسُميت "مجموعة الاقتحام"!

في هذه الأثناء كان السجن هادئاً، بعد أن خضع المعتقلون في اليوم السابق لأنواعٍ من التعذيب لم يسبق لها مثيل. وكانت الشرطة العسكرية المكلفة بالحراسة مستعدة على الباب الخارجي. وقد سلّم مدير السجن، المقدم فيصل غانم، مفاتيح المهاجع لضباط السرايا، كما زُوّدوا بمرشدين لغرف السجن وباحاته.

توزعت مجموعات سرايا الدفاع على المهاجع، وفُتحت الأبواب. وبموجب "نظام" السجن، وقف المعتقلون عند فتح أبواب المهاجع مغمضي العيون ووجوههم إلى السقف. وتمّ تجميعهم في الباحات بشكلٍ يجعل عمليات الإبادة تبدأ في وقت واحد.

بعد ذلك أعطيت إشارة البدء، فانطلقت الآلات النارية تصبّ وابل حممها على المعتقلين العزّل، وألقيت عدة قنابل، واستخدمت بعض قاذفات اللهب مع إطلاق النار الكثيف، في حين تعالت أصوات المعتقلين بهتافات: الله أكبر...

قدّر أحد منفذي العملية عدد القتلى من 500 إلى 600. بينما يصل مصدرٌ إخوانيّ بالرقم إلى أكثر من ثمانمائة قتيل. وتذكر مصادر شفوية أن من بينهم 60 طفلاً من طلاب الصفين الخامس والسادس الابتدائي من دير الزور، اعتقلوا على خلفيّة اتهامهم بحرق المؤسسات العامة. حُملت الجثث بالجرافات ودفنت في وادٍ قرب تدمر يقال له وادي عويض. وظلت آثار إطلاق الرصاص وبقايا الدم موجودة على أسقف وجدران المهاجع، على ما روى نزلاءٌ له قدموا لاحقاً.

وقد اطّلعت لجنة حقوق الإنسان التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، في دورتها السابعة والثلاثين عام 1981، التي انعقدت في جنيف، على وقائع المجزرة، بالاعتماد على شهادة اثنين من الذين شاركوا فيها، ألقت السلطات الأردنية القبض عليهما عندما كلّفا باغتيال رئيس الوزراء الأردني الأسبق مضر بدران.

أما منفذو العملية، فقد كان بانتظارهم معين ناصيف، الذي خطب فيهم قائلاً: "أنتم قمتم بعمل بطولة، بعمل رجولة... مع العلم إنه لأول مرة بنكلّفكم بهيك مهمة... ما لازم تطلع هالعملية خارج منّا، يعني لازم تظل مكتومة وسرية".

وفي اليوم التالي، وزّعت قيادة سرايا الدفاع على كل من اشترك في هذه الجريمة، مبلغ 200 ليرة!!!

رفعت الأسد.. المختلُّ بين وجهين

ناصر عنتابي

منذ أيام، وقريباً من ذكرى مرور ٣٣ عاماً على مجزرة سجن تدمر، التي نفّذتها قوّاته؛ نشرت صحيفة الديلي تلغراف البريطانية خبر بيع رفعت الأسد لمنزلٍ في باريس بمبلغ ٧٠ مليون يورو، وهو مبلغ أقل من سعره الفعليّ، كما قيل، مما قد يشير إلى الخوف من ملاحقةٍ قضائيةٍ مستقبليةٍ مع قرب انهيار سلطة العائلة. يبدو أن المجرم العجوز يدرك تماماً أن ملفاتٍ عديدةً ستفتح في وجهه.

يُتهم رفعت بإزهاق ما يزيد عن 38000 روحٍ أثناء سنوات قيادته لـ"سرايا الدفاع" ذات السمعة السيئة، والمتورّطة في تنفيذ مجزرتي سجن تدمر 1980 وحماة 1982، وهو ما حرص رفعت على إنكاره لاحقاً، بروايات فيها من الخيال أكثر مما يمكن احتماله.

لكن، ما أن يكتب المرء "رفعت الأسد" على محرّك البحث، حتى تظهر صورٌ للمذكور وهو حليق الذقن ببزّته العسكرية تارةً، ومرتدياً بدلة مدنيّة وربطة عنق بلحية محنجرة تارةً أخرى. وكأن غوغل يقودنا إلى "رفعتين" متوازيين لا يلتقيان ، ولكلٍ منهما هيئته التي تساعد على فهم وتشريح الدورين اللذين لعبهما، ابتداءً من مرحلة السلطة والبطش، وانتهاءً بالنفي وتحوّله إلى منظّر للـ"تجمع القومي الموحد"، وهو الشيء السياسي الذي أسّسه في الخارج.

في المرحلة الأولى، استمد "أبو دريد" حظوته من عاملين اثنين؛ الأول كونه أخاً لحافظ، وهو امتيازٌ ساعده على توطيد استقلالية قوّاته العسكرية عن الجيش النظامي، وتمدّد سلطاته، والتفنّن في تنفيذ الأوامر الأخوية، وهو ما كان علّة وجوده. والعامل الثاني هو الطائفية، إذ يُعرف عن سرايا الدفاع أنها تكوّنت أساساً من ضباطٍ وجنودٍ ينحدرون من الطائفة العلوية، في تمثيلٍ صريحٍ للعلاقة بين الصفاء المذهبي والولاء للنظام. ثم ما لبثت الممارسات الطائفية المنهجة عسكرياً وأمنياً أن أكسبت "القائد" شعبيةً جارفةً في المناطق التي قدم منها منسوبو السرايا، بعد أن جسّد لهم كل أنواع الفجاجة السلطوية، التي كانت عاملاً حاسماً في تعويض عقدة نقصه تجاه المدنيّة المتمثلة في المجتمعات الأهلية لمدن دمشق وحماة وحلب وحمص، التي وجد نفسه متحكّماً في تغيير حاضرها ومصيرها بما تشتهيه أهواؤه.

ولما عجز سعار العنف الذي اتّبعه عن إشباع رغباته في المجد، قرّر القائد كما سماه اتباعه آنذاك "الحصول" على شهادة الدكتوراه، وإنشاء "رابطة خريجي الدراسات العليا"، كواجهة نخبويّة وثقافية لسلطانه. في خطوة ذات دلالة على حجم الانتفاخ الذي وصلت إليه ذات "الدكتور رفعت"، ظاناً أنه يستطيع بذلك إخفاء العيوب الموجودة في ذاته العميقة من جهة، واكتساب ميزاتٍ إضافية غير موجودة لدى أخيه الرئيس من جهة أخرى. فأعطاه كل ذلك حافزاً معنوياً لإظهار جنون العظمة والشعور بالجدارة لمنافسة حافظ على الزعامة، في محاولة انقلاب فاشلة سنة 1984، لم يتوانَ الأخير إثرها عن الإلقاء برفعت وقبيلته من الأولاد في قصور فرنسا وشواطئ ماربيّا الإسبانية الشهيرة، وتحويل مواليه العسكريين إلى مهبّ التسريح والتهميش، لتنتهي مرحلة السلطة الرفعتية وعتادها وملابسها، وليبدأ بعدها عصر البزنس والمعارضة الهزلية وعُدّتهما.

ادّعى رفعت، بعد ظهوره في باريس، أنه معارضٌ إصلاحيٌّ ديموقراطيٌّ "للنظام"، من طريق قناته الفضائية ANN، التي أشرف عليها أحد أولاده. وبدأ بترويجٍ مبتذلٍ لحزب التجمع القومي الموحد، وهو مزيجٌ بين البعث والخرف. إذ لم يعرف لهذا "التجمع" أي نشاطٍ سوى نشر "الأطروحات الفكرية الديموقراطية" للأخ الأصغر، الذي تعامى عن انتقاد أخيه وسياساته، واستمر بإلقاء مسؤولية "الأخطاء" الهواميّة وغير المحددة، التي حدثت في سوريا، على "الدولة" المتمثلة بالوزراء! وهو "الموقف" الذي استمر إلى اندلاع الثورة، عندما تجرّأ ودعا ابن أخيه إلى التنحّي، وطالب بحكومةٍ انتقاليةٍ مشكّلةٍ من بنية النظام الحالي والمعارضة، معلناً ضمنياً رغبته القديمة في استلام السلطة.

شكّل رفعت الأسد، على مدار الأربعين عاماً الماضية، نموذجاً للبناء المافيوي للحكم، ولم تدفعه جرائم الإبادة وسرقة الآثار والتنعّم بأموال الدولة إلى التقاعد والخرس، بل بقي جشعه الأصلي ظاهراً لا يوفّر مناسبةً للخروج على الشاشات والتفوّه بالحماقات... فكيف للأحمق أن يصمت؟

القوقعة كتاب الثورة

محمد عثمان

ربما توقف الكثيرون عن القراءة في زمن الثورة الصاخب والسريع والمشحون، لكن كتاباً واحداً شذّ عن هذا السياق وحقق نسبةً غير مسبوقة من القراءات، إنه «القوقعة: يوميات متلصص». ويعود السبب في ذلك إلى دخول أعدادٍ كبيرةٍ من الشبان، وسواهم، في دائرة المعارضة الحادّة والجذرية لنظام الأسد، ورغبتهم ـ بالتالي ـ في الاطّلاع على بعضٍ من سابق جرائمه التي غفلوا عنها أو جهلوها زمناً. وأي كتابٍ أحقّ من هذا السجلّ المروّع والفظيع والمؤذي، الذي يسمّي نفسه «روايةً» ويستخدم سردها الذي يضيف إلى الأحداث تشويقاً يترافد مع واقعيتها، فيترك في نفس قارئها أثراً من الصعب أن يمحى.

فقد عمد مصطفى خليفة، وهو سجينٌ سياسيٌ سوريٌ سابق، إلى تجميع الروايات المختلفة عن سجن تدمر الشهير، من أفواه من اعتقلوا فيه فعلاً، وقدّم عمله هذا الذي هو أشبه ما يكون بالرواية التوثيقية أو العمل التسجيلي. فليست هناك حادثة مذكورة في هذا الكتاب إلا وقد جرت بالفعل، مرّةً أو مرّات... ولا بطلاً من أبطاله إلا ويحيل على سجينٍ حقيقي، أو هو تركيبٌ من مجموعة سجناء، لأغراض العمل الفني، أو لأسبابٍ تتعلق بإخفاء اسم صاحب الحدث خوفاً من إعادة اعتقاله... ولا يشار إلى سجّانٍ أو ضابطٍ إلا وهو أيضاً شخصيةٌ حقيقية، أو تركيبٌ من مجموعة شخصياتٍ ممن امتهنوا حيوات الناس وكراماتهم في تدمر.

وإذا صحّ تناول هذه الرواية من مداخل متعددة، فإننا سنعرضها هنا بوصفها وثيقة خطيرة على أشنع ما توصّلت إليه سجون نظام الأسد من قسوةٍ لا يكاد العقل السويّ أن يتصوّر حدوثها. فالخروج إلى الحمّام أو التنفّس أو حلاقة الشعر، وهي أبسط حقوق السجناء في كل أنحاء العالم، هو في سجن تدمر مخاطرةٌ كبرى يندر أن تمضي دون أن تخلّف قتيلاً واحداً بين السجناء الذين يصبحون فريسة الأمزجة العابثة بوحشيةٍ منقطعة النظير لسجّانيهم. ولذا يتمنى المعتقلون البقاء في مهاجعهم القارسة شتاءً والتي تغلي في الصيف نتيجة الجو الصحراوي. ولكن، أين المفرّ؟ واستلام الطعام المخصّص لكل مهجعٍ يحتاج إلى «فدائيين» يستطيعون تحمّل ضربات الكرابيج والعصيّ، التي تصاحب تسليم كل وجبةٍ، ودون أي سبب!!! ولا يندر أن تقع الضربة التي لا يضبطها شيءٌ على رأس السجين فتقتله، أو تتسبّب له بعاهة أو جراحٍ خطيرة لا يهتم لأمرها أحدٌ، إلا زملاء السجين من أطباء، وبوسائل بدائية بكلّ معنى الكلمة. في ظلّ انشغال «طبيب السجن» بالتشفّي بقتل أبناء دفعته الذي صادف أن تعرّف إليهم بين المعتقلين، وتكديس مدير السجن لكيلوغرامات الذهب، التي كان يتقاضى واحداً منها كرشوةٍ مقابل كل زيارةٍ يقوم بها ذوو السجين لابنهم الذي انقطعت أخباره عنهم لسنوات. وبعد 650 كيلوغراماً من الذهب، على الأقل، دخلت خزينة هذا المدير التاريخي، وعندما نقل وحلّ محلّه نائبه الذي جمع العاملين داخل السجن وأبلغهم أنه لم يعد بوسع الجندي أن يقوم بقتل أي سجين، إذا لم يكن أحد الرقباء موجوداً، مع احتفاظ هذا الجندي بقدرته على ممارسة التعذيب والضرب والسحل... إلخ؛ اعتبر المعتقلون أن المدير الجديد أكثر إنسانية!

في أحد مشاهد الرواية، وعندما يُنقل بطلها من سجن تدمر إلى أحد الأفرع الأمنية، لإعادة التحقيق معه

وإطلاق سراحه؛ يرى من خلال زجاج السيارة التي تقلّه، الناس الطبيعيين والشوارع، لأول مرةٍ بعد 12 عاماً. ويقول: أنظر إلى الناس، أتفحّص وجوههم، ما هذه اللامبالاة... ترى كم واحداً منهم يعرف ماذا جرى ويجري في السجن الصحراوي؟.. ترى كم واحداً منهم يهتم؟ ولكن، هل من المعقول أن هذا الشعب لا يعرف ماذا يجري في بلده؟! إذا لم يكن يعرف فتلك مصيبة، وإذا كان يعرف ولم يفعل شيئاً لتغيير ذلك فالمصيبة أعظم. انتبهت لنفسي... ابتسمت رغماً عني... هل أتوقع أن يخرج هذا الشعب في مظاهراتٍ عارمةٍ للمطالبة بإطلاق سراحي؟

أجابت الثورة على السؤال الذي طرحه الكاتب. وبدورها، تقدّم الرواية إجابةً لا تترك مجالاً للّبس لكلّ من قد يتساءل عن سبب ثورة السوريين. إن ما ورد في هذه الوثيقة وحده يستوجب قيام ثورة، ومنذ زمنٍ بعيدٍ جداً. ولعلّه قدرٌ أن يكون تاريخ إنشاء صفحة للرواية على الفايسبوك، هو 15 آذار 2011!!

في ذكرى مجزرة تدمر... مورِّثات النظام القاهرة

يوسف عبد الأحد

للفنان جون | خاص عين المدينة

يحيل استذكار مجزرة سجن تدمر، وسواها من مجازر وفظاعات النظام في أحداث الثمانينيات، على حقيقةٍ خطيرة، وهي تكرار السلطة الممارسات القمعية الوحشية نفسها، بل على نطاقٍ أوسع بحجم الوطن هذه المرة، رغم تغيّر الأزمنة والأشخاص وطبيعة التحركات التي يواجهها هذا النظام، بشكلٍ يبدو معه وكأن مورثاتٍ قاهرة، تقبع في عمق شيفرته التكوينية، هي التي تقود ردّات فعله وتعاطيه مع شعبه.

وإذا بدأنا برأس النظام، الذي رافقت توليه السلطة، خلفاً لوالده، آمالٌ عريضةٌ طالت قطاعاً عريضاً من أعتى المعارضين، كجماعة الإخوان المسلمين في الخارج، وبقايا تنظيمات اليسار السوري المفرج عنه من السجون في الداخل؛ بوصفه رئيساً يأتي من خلفية مدنيّة، بشهادة جامعية معتبرة عموماً، وبإقامةٍ دراسيّةٍ في الغرب، واهتمامٍ بالتحديث المعلوماتي والانفتاح الاقتصادي والازدهار الاجتماعي... إلى ما يتذكره الكثيرون من أوهام تلك المرحلة؛ فقد أثبت مرتدي البدلة الغربيّة، والضاحك بقهقهةٍ متواترة، أنه لا يقل قسوة ودموية عن والده الضابط المتجهم عموماً، الذي صعد طريقاً وعراً إلى قمة الهرم السوري وسط أخطارٍ عديدة كادت تودي به، إن لم يفُقه ويتجاوزه بمراحل.

وإذا كان الشقيق الأصغر لبشار، ماهر، العميد في الفرقة الرابعة، ومنفذ مجزرة سجن صيدنايا عام 2008، هو الصورة الحالية عن عمّه رفعت، قائد سرايا الدفاع المسؤولة عن مجزرة سجن تدمر عام 1980، ومجازر أخرى؛ فإن عدداً كبيراً من أركان نظام الأسد الأب قد أحالهم الموت أو العمر على التقاعد والانزواء، وحلّت محلّهم أجيال جديدة معظمها من «الشبان» الذين صعدوا مع بشار، أو مع شقيقه الراحل باسل، أثناء التغييرات التي أجراها الأب في أجهزة الأمن وكبرى المناصب العسكرية، تمهيداً للتوريث القادم.

بل إن القاعدة البشرية للقمع الحالي تتكون أساساً من شبانٍ في العشرينيات من أعمارهم، لم يولد معظمهم إلا بعد انتهاء أحداث القرن الماضي تماماً، فما الذي يجعلهم يتصرفون بنفس الطريقة التي تصرف بها أسلافٌ لهم غدوا الآن في العقد السادس! سواءً في الفروع الأمنيّة كمحققين وجلادين، أم على الحواجز المتكاثرة كمتنمّرين وطغاةٍ صغار، أو في ساحات القتال والقتل كمتوحشين بدائيين يستخدمون أسلحة حديثة؟!

يعرف كلّ من عاصر أحداث سوريا في الماضي، أو قرأ عنها بشكل كافٍ، أنه يواجه السحنات نفسها، واللكنات ذاتها، والحقد والاستهانة والطاغوتية عينها، بدرجةٍ مدهشةٍ من التشابه حتى في أدق تفاصيل أسلوب الكلام وطبيعته ومفردات اتهاماته وشتائمه و«كفريّاته» ولغته الجسدية!

ولا يأتي الاستغراب من تغيّر الأزمان والأشخاص فحسب، بل من نقطة أخرى ربما كانت أكثر أهمية، وهي التباين الواضح بين ما واجهه النظام وقتها وما يعانيه اليوم. ففي سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته، أعلن تنظيمٌ، هو أحد الفصائل الناشئة عن جسم الإخوان المسلمين، خروجه المسلّح على السلطة، وباشر بتنفيذ عمليات الاغتيال، فالمواجهات المحدودة في حرب عصاباتٍ مدينية. واستطاع هذا التنظيم أن يجتذب إلى المعركة التي أعلنها شرائح واسعة من أبناء الجماعة الأم، وحظي بسندٍ شعبيٍ في عددٍ من المدن السورية ذات الأغلبية السنّية، إذ إنه أبان منذ البداية رؤيته لطبيعة معركته مع حكم الأسد الأب بوصفه حكم العلويين.

ولا يبرر هذا الكلام الردود الإجرامية للسلطة وقتها، التي اصطادت الذئب بصاروخ، واستغلّت ما جرى لتعقيم المجتمع من السياسة، وقتلت عشرات الألوف وسجنت مثلهم، في عنفٍ فائضٍ وهائجٍ طغى على الحياة السورية؛ إلا أن المقارنة واجبةٌ مع صورةٍ مختلفةٍ تماماً واجهتها هذه السلطة وقت اندلاع الثورة في 2011، من نزوعٍ إلى السلمية وإعلان المطالب، ورغبةٍ بالحرية والعدالة والمساواة بين جميع أبناء البلد، بما يعنيه ذلك من أبعادٍ وطنيّة.

ولكن مورّثات النظام القاهرة فعلت فعلها، فهي التي حاولت إعادة التاريخ إلى الوراء، لتواجه خصوم اليوم بمثل ما واجهت به خصوم الأمس، بل بعنفٍ أشدّ، ما دامت الاحتجاجات الشعبية قد عمّت معظم الأراضي السورية. وهي التي قادت هذه التحركات شيئاً فشيئاً إلى الاضطرار للتسليح، وهي التي تقودها إلى التخندق طائفياً في وجه نظامٍ كشف عن وجهه الفئوي، مدعوماً بشدّة من معسكر إقليمي لا عنوان له بالفعل سوى الطائفية. وهي التي ستدفع، ونحن معها طبعاً، ثمن تصلّبها الجيني... إنه أحد الأعراض الجانبية الخطيرة للتوريث.

بين القصف والسرقة والتهريب... تاريخ سورية في أيدي اللصوص والمجرمين...

الآثار السورية.. 6 مواقع مهددة بالدمار

عبد الله سليمان

كان تقرير "اليونسكو" الصادر منذ أيام، بعد اجتماع "بنوم بنه" في كمبوديا، بمثابة ناقوس خطرٍ ينبّه كافة المؤسسات الثقافية والحضارية في العالم إلى المشهد الآثاري السوري. فقد جاء في التقرير أن هناك ستة مواقع أُثرية سورية كبرى مهددة بالدمار، وهي: "دمشق القديمة، حلب القديمة، المدن المنسية في حلب، بصرى، تدمر، قلعة الحصن". وتم التأكيد على أن الأخطر هي مواقع حلب بفعل العمليات الحربية في المدينة.

وبنظرة أكثر اتساعاً على مجمل المواقع الأثرية السورية، نجد أن التراث الوطني مهددٌ بالخطر، بل وأن الكثير من مرتكزات هذا التراث تعرضت لدمار جزئي أو كلي، ويعود السبب الأساسي في ذلك إلى اعتماد القلاع والمآذن والمدن القديمة كمراكز لتجمع قوات النظام السوري ومراصد لقناصته ومرابض لدباباته.

ويحدد علماء الآثار مجموعة من الأخطار التي تتهدد التراث السوري، تبدأ بالأعمال الحربية واتخاذ المواقع الأثرية كمراكز عسكرية، ولا تنتهي بالتنقيب السري وسرقة المتاحف. إذ لا يكتفي النظام بقصف القلاع، بل يغض النظر عن سرقة الآثار، التي تحصل في كثير من الأحيان أمام عينيه. وهو ما جرى موثقاً في مدينة أفامية التي تتعرض للحفر السري، وتوجد فيها الآن أكثر من 5000 آلاف حفرة، مع العلم أنها تحت سيطرة النظام.

بينما نجد مواقع أخرى تعرضت لسلب بعض مكوناتها وتهريبها خارج القطر، وهو ما جرى في المدن المنسية بحلب، وفي مجموعة من المتاحف مثل متحف حماة، حيث تمت سرقة تمثال لإله آرامي من القرن الثامن قبل الميلاد مصنوع من البرونز ومغطى بالذهب، كما سرقت 18 دمية طينية من متحف قلعة جعبر على الفرات، بينما صادر الأمن اللبناني لوحات فسيفسائية مهربة من سورية بقصد بيعها لشبكات

من الأرشيف البصري لمؤسسة بصمة

تهريب آثار عالمية. وتشير الإحصاءات إلى تعرّض أكثر من 12 متحفٍ للقصف والسرقة من بين 36 متحف في البلاد.

أما المواقع الأخرى التي تقع في المناطق المحررة، فتتعرض بدورها للنهب وعمليات التنقيب غير الشرعية. وهو ما يجري في موقع ماري عند البوكمال، حيث يقوم مجموعة من لصوص الآثار السوريين والعراقيين بالتنقيب.

ونقل مكتب أخبار سورية أنه تمت "سرقة معدات بعض بعثات التنقيب، مثل موقع دورا أوروبوس على الفرات وتل سكا بريف دمشق، كما تم بناء أبنية سكنية في الحرم الأثري لبعض المواقع، مثل تل حمو كار في الحسكة وتل الأشعري في محافظة درعا". وهو ما يكمل صورة تعرّض كافة المناطق الأثرية السورية للأذيّة على مختلف المستويات.

وهنا، من الجدير بالذكر أن دماراً كاملاً حلّ ببعض المواقع الأثرية السورية بسبب قصف قوات النظام، مثل الجامع العمري في درعا، وكنيسة أم الزنار في حمص، ومئذنة الجامع الأموي في حلب، وبعض أسواق حلب القديمة، وتل النبي مندو في حمص، إضافة إلى أجزاء من أسوار قلعة المضيق وقلعة الحصن وبصرى.

ومن الجانب الرسمي، لم تصدر المديرية العامة للآثار أي تقرير يوضح حجم هذا الدمار، كما أنها تغضّ النظر عن الكثير من المواقع الواجب حمايتها. ومن جهة أخرى، فإن كتائب الجيش الحر، المسيطرة على الكثير من المناطق، لم تمتلك بعد القدرة على تشكيل مؤسسات لحماية تلك المواقع، فيما أتيح لتجار الآثار واللصوص العبث بالمواقع دون إجراءات واضحة من الإدارات العسكرية واللجان المحلية.

وبقيت الكثير من المواقع الأثرية بعيدة عن تناول الإعلام، فهناك قلاع وحصون ومتاحف لم يتم حتى الآن حصر الأضرار فيها، مثل قلعة سمعان، وقصر ابن وردان، ومتحف معرة النعمان، وإيبلا، وسواها.

إعلام النظام السوري... يحلم بمصر الجديدة على طريقته

سمير كوجك

"حكم الإخوان يترنّح في أرض الكنانة"... هذه هي مصر في عيون "الإعلام الرسمي السوري". ما يجري في مصر اليوم هو بمثابة سقوطٍ لحكمٍ جاءت به ثورة، أكثر مما هو سقوطٌ لنموذجٍ قياديٍ إسلاميٍ سياسي. ويعزّز الحالة الاحتفالية للنظام كون الرئيس مرسي أغلق السفارة السورية في مصر. وكأن ما يحدث الآن في ميدان التحرير بالقاهرة حراكٌ سيثمر فتح العلاقات مع نظام الأسد من جديد، والوقوف مع جيشه في قمعه للثورة. مع العلم أن القوى والتيارات التي دعت إلى قيام ثورة مصرية جديدة، بعد عامٍ على حكم مرسي، تعتبر من أكثر التيارات تأييداً للثورة السورية، وقد أخذت على مرسي تأخره في قطع العلاقات مع النظام السوري. إلا أن إعلام هذا النظام بات غير مهتمٍ بالنتائج نهائياً، بل يحاول قيادة فقاعة إعلامية يتعلق بها مؤيّدوه، ثم يبتسم بعد أن تكون النتائج ليست في مصلحة دكتاتوريته.

من الغريب في أداء الإعلام السوري الرسمي أن يحتفي بتبدل الحكام وهيجانات الشوارع والاعتصامات الكبرى في العالم، فيهلل لاعتصامات ميدان تقسيم في اسطنبول، ويرحب بأي حراكٍ شعبي عالمي، متبنياً خطابات المعارضات السياسية، كونها تستهدف أنظمة تقف ضده كنظام دكتاتوري. حتى أن أبسط مجريات انتقالات السلطة تمثل لهذا الإعلام تغييراً نوعياً يجب تسليط الضوء عليه، فتولّي تميم بن حمد السلطة بعد والده هو انهيارٌ لحكم قطر التي تآمرت على سورية، وانتقال السلطة في إيران هو نموذجٌ ديمقراطيٌ بحت، بحيث تبنى جميع رسائل النظام الإعلامية من خلال أيديولوجية بعثية للغاية، يمكنه أن يضرب فيها عرض الحائط بكل قيمة إنسانية أو فكرية أو منطقية...

فـ"المنطق" يفرض أن يقف ضد أي حراكٍ شعبي في العالم، حتى دون أن يعترف بالحراك الشعبي السوري، وأن يؤيد كل تصرفٍ عسكريٍ أو قمعيٍ ضد أي مظاهرةٍ، على اعتبار أنه يمارس أضعاف ما تتم ممارسته في الدول الأخرى. إلا أن هذا بعيدٌ عن إعلام يوجّه رسالته بالأخص لمن سوف يتّبع أية رسالة يتم توجيهها، بغضّ النظر عن مضمونها أو خلفيتها أو منطقيتها. ويقول قائل: "ليس غريباً أن يرحّب الإعلام السوري الرسمي بمظاهرات مصريين ضد نظام مرسي، ما دام لم يعترف حتى الآن بتبعية قرية سورية للمعارضة".. هي حالة التعامي المنطقي لنظامٍ قادرٍ على إغماض عينيه عن كل شيء، ومن ثم تركيز النظر على شيءٍ قد لا يخدم مصلحته، وإنما يزيد من تضليل متابعيه العقائديين... القادرين على تصديق خبر احتلال الجيش السوري للمريخ، طالما أنه يفكك أكثر من عشر عبوات ناسفة في الدقيقة، حتى بعد انفجارها، ويكاد يجري حواراً مع إرهابي فجّر نفسه في ساحة دمشقية.

تقول سانا، دون أن يرفّ لها جفن: "وفي الميادين؛ ألقى المتظاهرون المصريون في ميدان الشون بالمحلة القبض على أحد المسلحين الذين أطلقوا النار على المتظاهرين، بينما استطاع اثنان آخران الهرب". وتضيف: "يشهد ميدان رابعة العدوية في القاهرة تجمعاً لأنصار مرسي والتيارات الإسلامية، في محاولةٍ يائسةٍ لاستعراض القوة أمام الحشود الغفيرة التي بدأت تعجّ بها ميادين مصر وساحاتها اليوم للمطالبة برحيل مرسي وإخوانه".... هو الإعلام ذاته الذي نفى إطلاق النار على المتظاهرين في مختلف المدن السورية، وهو نفسه الذي صوّر أنصار الأسد في ساحة السبع بحرات بدمشق على أنهم أكثر من سكان سورية.

وربما كان ما ينتظره الإعلام السوري من الحراك المصري الحالي هو أبعد ما يكون عن الواقع، فسواء توّجت التظاهرات بسقوط مرسي أو استمراره، أو حتى بسيطرة العسكر على الدولة، فلن يقدّم أحدٌ أية مكاسب للأسد، ولن يعيد فتح سفارته في أرض الكنانة.

أردوغان... كش ملك

"اعتقد أردوغان أن الوضع الآن سيخدم أحلامه.. سيفرش له طريق المجد ليعيد أمجاد السلطنة.. ربما لم يكن ينقصه في هذه الليلة الحمراء كوب نبيذٍ فاخرٍ من الدم السوري الذي ملأ به كأسه المقدسة على مذبح بني ماسون.. كل مراسم التنصيب قد اكتملت تقريباً.. إلا أن ريح الربيع الجنوبية داهمت حفلته.. على غير ميعاد..."...

بهذه الكلمات يحلل الاسكندر طوسي الوضع الراهن، من خلال تمثيل المنطقة برقعة شطرنجٍ يقول فيها الأسد لخصمه: كش ملك. ويرى أن الربيع هو مخططٌ لإعادة الخلافة الإسلامية بقيادة الخليفة أردوغان. ثم يشمت بأردوغان لأن رياح الربيع وصلت إلى دياره. يصعب تحديد اتجاه المقال، وتعجز أمامه الترجمة الفورية، إلا أن التلفزيون السوري يرى في ما قاله المحلل إبداعاً، خاصة وأن الأسد يقول في نهاية اللعبة: "كش ملك"، الجملة المتبعة عادةً ـ وفق تصوّر الإعلام السوري ـ لدى السياسيين عندما يقترب انتصار أحدهم على الآخر في معركة دبلوماسية.

"كش ملك" هي نقلة الأسد، وهي ما يقارب "مقلوبة الأسد" الأسطورة وانتصاره على أعدائه بطريقة يتم حتى الآن تحليل خطواتها، التي عانت من تناقض في السرد... نقلة الأسد هي في تحويل الاحتجاجات إلى تركيا... ووفق ذلك تبدو الاحتجاجات ـ من وجهة نظر تشبيحية ـ مؤامرةً على تركيا الوطن وليس النظام. بمعنى أنه إذا كان الأسد بهذه النقلة قد حوّل الاحتجاجات.. فإن متظاهري تقسيم بالتالي هم مندسّون بالفعل، وفق هذا التحليل. والربيع الذي يجتاح تركيا صناعة سورية... لحظة... ليس صناعة سورية... هي احتجاجات... لأن لديهم مطالب وأردوغان يواجههم بالعنف عفواً... ليست احتجاجات... هي كشة ملك الربيع العربي من سورية إلى تركيا.. كلا... ليس ربيعاً... هي مؤامرة كونية على سورية...

في تركيا هو ربيع رداً على مشاركة أردوغان في القتال إلى جانب المسلحين في القصير...

لكن أردوغان كان ضيفاً في المغرب خلال المعركة... هذه ليست المغرب... هذه القصير، والملك المغربي كان يقاتل معه...

هذه هي أبجديات رقعة الشطرنج التي قال فيها الأسد كش ملك!

فوبيا الأنفاق

"عثرت وحدة من جيشنا الباسل في حرستا على نفقٍ بطول مئتي متر وعمق عشرة أمتار، يصل جامع الإيمان بالجانب الغربي من الطريق، استخدمه الإرهابيون للتنقل وتخزين الأسلحة والذخيرة. حفر خصيصاً لتنفيذ الأعمال الإرهابية".

"ذكر مصدر عسكري لـ سانا أنه تم العثور على نفقٍ يمتد من بساتين الوعر إلى داخل مدينة حمص، وبداخله كميات كبيرة من الذخائر، كان الإرهابيون يستخدمونه للتنقل ونقل الأسلحة إلى داخل المدينة".

"أكدت مصادر اكتشافها لنفقٍ يمتد على طول الساتر الترابي لمطار المزة العسكري المتاخم لداريا ومعضمية الشام، حيث عمد إرهابيو الناتو على إلهاء الجيش فوق الأرض ليفرّوا تحت الأرض، وبعمق حوالي 20 متراً. ولكن، وبعد معلومات موثقة، تم اكتشاف النفق وردمه بمن فيه ".

وأنفاق أخرى بعضها يصل بين سورية ولبنان، وآخر يشكل معبراً للأسلحة من تركيا إلى ريف حلب. وما إن يبثّ الإعلام السوري خبر اكتشاف نفقٍ حتى تتكفل الجهات المختصة بوضع الأصفار على يمينه، فيصبح عمق مترين هو عمق 20 متراً، وطول 10 أمتار هو طول 100 متر. وغالبية هذه الأنفاق ـ من حيث المنطق ـ بحاجة إلى حفارات ضخمة تزيد تكلفتها على تكلفة أسلحة ثقيلة وعربات.. إلا أن الإرهابيين يستطيعون ذلك.. الإرهابيون يحفرون الأنفاق بأكفّهم ويطيرون بلا أجنحة، يمرّرون دبابة عبر نفق عرضه نصف متر. أسطورة الإرهابيين تفوق أسطورة الجيش الباسل بقدرته على فك العبوات الناسفة بعد انفجارها، وترجمته لكل اللغات التي تطبع إهداءها في أسفل كل عبوة منها.

هل نحتاج إلى "طائف" سوري؟

تتعالى بين الحين والآخر دعواتٌ تحاول إنهاء الثورة...

ولعل أقذر ما ورد في هذا المجال هو الكلام الذي تفوه به وزير الخارجية الروسي عندما قال إنه لا يريد حكماً سنياً في سوريا. ولن أعلق على هذا الكلام الذي تجاوز كل الأعراف الدبلوماسية والأخلاقية.

إلا أن الطرح الخبيث والخطير، الذي يصدر من جهاتٍ معينة، وعلى استحياء، هو أن الوضع في سوريا يحتاج إلى طائف سوري، قياساً على الطائف اللبناني. وسأناقش هذا الطرح من جهتين: المبرر والمآل.

إن الوضع السوري لا يشبه الوضع اللبناني بتاتاً، فالمجتمع اللبناني مؤلف من ثلاث كتل رئيسية متكافئة تقريباً: مسلمون سنة، ومسلمون شيعة، وموارنة.

ولكل كتلة مطامحها ورغباتها التي قد تتنافر في بعض الأحيان مع رغبات وتطلعات الكتل الأخرى، مما ولّد حراكاً مسلحاً أدى إلى حرب أهلية كان الكل فيها يقاتل الكل، فاضطر العرب والقوى الدولية إلى عقد مؤتمرٍ في الطائف في العربية السعودية لدراسة المشكلة اللبنانية ومحاولة وضع حلٍ جذريٍ لها. وكان لهم ما أرادوه... إذ تمت قسمة الحكم في لبنان على جميع الكتل، دون أن يملك أحد سلطة على الآخر. فكان المآل دولة فاشلة وفق أضحوكة ما يسمى الديمقراطية التوافقية.

إن الوضع في سوريا يختلف تماماً عن الوضع في لبنان، فلا توجد تلك الكتل المتساوية والمتنافسة على الحكم، بل تتمثل الأغلبية الساحقة، وبنسبة تتجاوز الـ70 % من المجتمع، من مكون سني. إضافة إلى أنه لا توجد تلك الحساسية الطائفية، فلا أحد منا ينسى العديد من رجالات سوريا الذين تصدروا أعلى المناصب، ولعبوا أدواراً هامة في الحياة السياسية أو العسكرية السورية، مثل فارس الخوري وسلطان باشا الأطرش وصالح العلي، وكثيرين غيرهم، دون أن يقول أحد إن هذا مسيحي أو علوي أو درزي. لم يأت هذا التصنيف إلا بعد ما يعرف بالحركة التصحيحية، ولأسباب مشبوهة. ولو كان المجتمع طائفياً لما تمكن الطائفيون من القفز إلى مقدرات البلاد.

إن مقولة الطائف السوري لم يتبناها أحدٌ من الداخل السوري، بل من أطراف لبنانية طائفية حاقدة تريد أن تخلق دولة فاشلة تضمن لهم بعض المكاسب التافهة، فعلينا أن نكافح هذا الاتجاه، كما علينا أن نمنع النظام من جرّ المجتمع والثورة إلى مستنقع الطائفية.

فهل تنهج القوى السياسية السورية هذا النهج؟

أبو عمر ـ الميادين

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة
ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

مقاتلون من الجيش الحر - حي الجبيلة دير الزور

عدسة كرم | خاص عين المدينة